الشرع حفظ الكليات

أمَّا بَعدُ: فَأُوصِيكُم – أَيُّهَا النَّاسُ – وَنَفسِي بِتقوَى اللهِ – جَلَّ وَعَلا:

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعلَمُوا أَنَّكُم مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ المؤمِنِينَ﴾.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ: إِذَا كَانَتِ القَوَانِينُ الوَضعِيَّةُ الأَرضِيَّةُ، تَهتَمُّ بِإِسعَادِ المَرءِ فِي دُنيَاهُ فَحَسبُ، وَقَد تَهتَمُّ بِهِ فَردًا عَلَى حِسَابِ الجَمَاعَةِ، وَقَد تَغمِطُهُ حَقَّهُ عَلَى حِسَابِ الآخَرِينَ، فَإِنَّ الشَّرَائِعَ السَّمَاوِيَّةَ المُنَزَّلَةَ مِن عِندِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَاءَت لِإِسعَادِ الإِنسَانِ فِي الدَّارَينِ، وَقَصَدَت إِلَى نَجَاتِهِ فِي دُنيَاهُ وَأُخرَاهُ، وَاهتَمَّت بِهِ فَردًا مِن ضِمنِ جَمَاعَةٍ، لَهُ عَلَيهَا حَقُوقٌ وَلَهَا عَلَيهِ حُقُوقٌ، وَمِن أَجلِ هَذَا:

فَقَد جَاءَ الإِسلامُ بِكُلِّيَّاتٍ خَمسٍ، أَوجَبَ حِفظَهَا وَحَمَى حِمَاهَا، وَحَدَّ الحُدُودَ وَشَرَعَ التَّعزِيرَاتِ لِلحَيلُولَةِ دُونَ النَّيلِ مِنهَا، إِنَّهَا الدِّينُ وَالنَّفسُ وَالمَالُ وَالعِرضُ وَالعَقلُ، فَالإِنسَانُ مَخلُوقٌ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ، وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى مَولاهُ فَمُحَاسِبُهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ﴾. وَقَالَ جَلَّ وَعَلا: ﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثًا وَأَنَّكُم إِلَينَا لا تُرجَعُونَ. فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ. وَمَن يَدعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرهَانَ

لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكَافِرُونَ﴾. وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلامُ﴾.

وَقَال تعالى: ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلا: ﴿وَمَن يَرتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "مَن بَدَّلَ دِينَهُ فَاقتُلُوهُ". رواه أبو داود.

وَأَمَّا النَّفسُ البَشَرِيَّةُ فَهِيَ غَالِيَةٌ غَالِيَةٌ، وَالحِفَاظُ عَلَيهَا أَمَانَةٌ وَمَسؤُولِيَّةٌ، وَالاعتِدَاءُ عَلَيهَا وَإِزهَاقُهَا جَرِيمَةٌ وَأَيُّ جَرِيمَةٍ، وَأَعظَمُ النُّفُوسِ عِندَ اللهِ نَفسُ المؤمِنِ، ثم كُلُّ نَفسٍ مُعَاهَدَةٍ، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَن يَقتُلْ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "لا يَحِلُّ دَمُ امرِئٍ مُسلِمٍ يَشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفسُ بِالنَّفسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ". رواه مسلم.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "كُلُّ ذَنبٍ عَسَى اللهُ أَن يَغفِرَهُ إِلاَّ الرَّجُلَ يَمُوتُ مُشرِكًا أَو يَقتُلُ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا". رواه أبو داود.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "مَن قَتَلَ مُؤمِنًا فَاغتَبَطَ بِقَتلِهِ، لم يَقبَلِ اللهُ مِنهُ صَرفًا وَلا عَدلاً". رواه أبو داود.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "مَن قَتَلَ مُعَاهَدًا لم يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ". رواه أحمد.

وقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "لا يَزَالُ المؤمِنُ في فُسحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا". رواه البخاري.

وَأَمَّا المَالُ، فَقَد كَفَلَ الإِسلامُ فِيهِ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَحَرَّمَ الاعتِدَاءَ عَلَيهِ وَأَخذَهُ بِغَيرِ حَقٍّ، وَشَرَعَ حَدَّ السَّرِقَةِ لِصِيَانَتِهِ، وقَالَ تعالى: ﴿وَلا تَأكُلُوا أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ﴾.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا، المسلِمُ أَخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ، وَلا يَخذُلُهُ، وَلا يَحقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلى صَدرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَن يَحقِرَ أَخَاهُ المسلِمَ، كُلُّ المسلِمِ عَلَى المسلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرضُهُ". رواه مسلم.

وَأَمَّا العِرضُ؛ فَقَد حَرِصَ الإِسلامُ عَلَى طَهَارَتِهِ وَنَقَائِهِ وَصَفَائِهِ، وَوَضَعَ سَيَاجَاتٍ لِحِمَايَتِهِ وَوِقَايَتِهِ وَصِيَانَتِهِ، فَحَرَّمَ النَّظَرَ إِلى العَورَاتِ وَتَتَبُّعَهَا، وَحَرَّمَ الزِّنَا وَمَقَتَهُ وَقَبَّحَهُ، وَجَعَلَ حَدَّ فَاعِلِهِ الجَلدَ أَوِ الرَّجمَ، وَغَلَّظَ فِي أَمرِ رَمِي المحصَنَاتِ، وَعَدَّهُ مِنَ السَّبعِ المُوبِقَاتِ المهلِكَاتِ.

قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرمُونَ المحصَنَاتِ الغَافِلاتِ المؤمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾.

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "يَا مَعشَرَ مَن قَد أَسلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَم يُفضِ الإِيمَانُ إِلى قَلبِهِ، لا تُؤذُوا المسلِمِينَ وَلا تُعَيِّرُوهُم وَلا تَتَّبِعُوا عَورَاتِهِم، فَإِنَّهُ مَن تَتَبَّعَ عَورَةَ أَخِيهِ المسلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ، وَمَن تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ يَفضَحْهُ وَلَو فِي جَوفِ رَحلِهِ". رواه الترمذي.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "اِجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ: الشِّركُ بِاللهِ، وَالسِّحرُ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِي يَومَ الزَّحفِ، وَقَذفُ المحصَنَاتِ المؤمِنَاتِ الغَافِلاتِ". متفق عليه.

وَأَمَّا العُقُولُ؛ فَقَد كَرَّمَ اللهُ بِها بَنِي الإِنسَانِ، وَجَعَلَهَا مَنَاطَ التَّكلِيفِ وَمُتَعَلَّقَهُ، وَلم يُكَلِّفْ بِعَمَلٍ وَلا أَوجَبَ حِسَابًا عَلَى مَن زَالَ عَقلُهُ بِغَيرِ فِعلٍ مِنهُ، غَيرَ أَنَّ غَلاءَ العَقلِ وَأَهَمِيَّتَهُ، جَعَلَ الاعتِدَاءَ عَلَيهِ حَتى مِن صَاحِبِهِ أَمرًا مُحَرَّمًا، وَمِن أَجلِ هَذَا حُرِّمَتِ الخَمرُ وَوُصِفَت بِأَنَّهَا رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ وَأَنَّهَا أُمُّ الخَبَائِثِ، قَالَ تَعَالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الخَمرُ وَالميسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاءَ فِي الخَمرِ وَالميسِرِ وَيَصُدَّكُم عَن ذِكرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَل أَنتُم مُنتَهُونَ﴾.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "الخَمرُ أُمُّ الفَوَاحِشِ وَأَكبَرُ الكَبَائِرِ". رواه الدارقطني.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ: بِكُلِّ هَذِهِ الحُقُوقِ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ، وَعَنهَا دَافَعَ الإِسلامُ، وَلأَجلِهَا أُوجِبَ فِعلُ الوَاجِبَاتِ وَحُتِّمَ الانتِهَاءُ عَنِ المَنهِيَّاتِ، فلا بُدَّ مِن حِمَايَتِهَا كُلِّهَا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَتَأثِيمِ كُلِّ مُعتَدٍ عَلَى أَيٍّ مِنهَا وَمُحَارَبَتِهِ وَمَنعِهِ وَالأَخذِ عَلَى يَدِهِ وَصَدِّهِ، فالمخدرات أمُّ الخبائث، والمراد بها: كلُّ مادة مُصنَّعة أو غير مصنعة تحتوي على عناصر مُنبِّهة أو مُسكِّنة أو تسبب الهلوَسة، تؤدي إلى إدمان مُتعاطيها.

فكلُّ بلاء يضرُّ بالدين أو الدنيا إلا والمخدرات طرفٌ فيه عند متعاطيها، كم من مدمنٍ مات بسبب المخدرات حينما يتعاطى جَرعة كبيرة، أو أخطأ أثناء الحقن بالمخدِّر، أو مات بسببها موتًا بطيئًا، فسببت له أمراضًا مات بسببها! وكم من نفسٍ بريئة أزهقها مُتعاطو المخدرات وهم تحت تأثيرها!

أما الأعراض، فهي جريحة من هذا الوباء، فكم من مدمنٍ هان عليه عِرضه وعَرَضَ أعزَّ الناس إليه، فقدَّمه مقابل مُتعة مُحرَّمة! وكم من مدمنٍ اعتدى وهتك العِرض المحرَّم وهو سادر في سكرته!

أما المال، فتُنفَق الأموال الكثيرة في تحصيل المخدرات، ويُقتِّر المتعاطي على نفسه وعلى أهله، فيمنع النفقة الواجبة عليه؛ للحصول على المخدرات، فماذا أبقت المخدرات من صفات الخير ودرجات الكمال لمتعاطيها؟! والمخدرات مشكلة عالمية، حتى الدول التي لا تعير للدين اهتمامًا تسعى جاهدةً في التقليل من خطرها؛ لما تراه من ضررها على الفرد والمجتمع، فهي ضرر مَحْضٌ اجتماعيًّا وأمنيًّا واقتصاديًّا وصحيًّا.

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالوَالِدَينِ إِحسَانًا وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِن إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُم وَلا تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ. وَلا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا الكَيلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسطِ لا نُكَلِّفُ نَفسًا إِلاَّ وُسعَهَا وَإِذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربى وَبِعَهدِ اللهِ أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾.

**** ****

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعدُ: فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالى حَقَّ تَقوَاهُ، وَاستَعِدُّوا بِصَالِحِ الأَعمَالِ لِيَومِ لِقَاهُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ، إِنَّنَا لا نَقُولُ لِلنَّاسِ لا تُطَالِبُوا بِحُقُوقِكُم المَالِيَّةِ، أَوِ ارضَوا بِالدُّونِ وَتَلَبَّسُوا بِالمَهَانَةِ، وَلَكِنَّنَا نَدعُوهُم لاستِيضَاحِ الحَقَائِقِ وَوَزنِ الأُمُورِ بِمِيزَانِ الدِّينِ، وَمُرَاعَاةِ الأَولَوِيَّاتِ وَاعتِبَارِ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ، وَالعِلمِ بِأَنَّ لِلبُيُوتِ أَبوَابًا لا مَدخَلَ إِلَيهَا إِلاَّ مِنهَا، وَأَنَّهُ لا يَبذُلُ الأَعلَى لِتَحصِيلِ الأَدنى إِلاَّ جَاهِلٌ، وَإِذَا ذَهَبَ الدِّينُ وَانتُهِكَ العِرضُ، فَلا بَارَكَ اللهُ فِي دُنيًا وَلا مَالٍ، وَأَنىَّ لِعَقلٍ بَعدَ ذَلِكَ أَن يَستَقِرَّ وَيَنفَعَ صَاحِبَهُ، أَو يُورِدَهُ مَا يَنفَعُهُ وَيَسُرُّهُ، وَلأَن يَمُوتَ المرءُ وَهُوَ عَلَى الدِّينِ الحَقِّ خَيرٌ لَهُ مِن أَن تُفتَحَ عَلَيهِ الدُّنيَا عَلَى حِسَابِ تَضيِيعِ مَبَادِئِهِ، ثم يَمُوتَ مِيتَةَ البَهَائِمِ أَو شَرًّا مِنهَا.

ومن أهم أسباب الوقوع في هذا الداء العُضال: الرفقة السيِّئة، فربما صَحِبَ الشاب رفقةً سيِّئةً تتعاطى المخدرات، وقالوا له كذبًا وبُهتانًا: إنها تَجلب السعادة وتُقوِّي الذاكرة، وتزيد الاستمتاع بالمعاشرة، إلى غير ذلك من الأكاذيب التي تغريه بها، وما هي إلا فترة ويصعب عليه الانفكاك منها، وإذا لم يُجبْ الإغراء ربما اتهموه بأنه لا يزال طفلاً أو أنه خائف أو

نحو ذلك، وربما حضر الشخص مناسبةً أو اجتماعًا فعُرِضتْ عليه، فتناولها مُجاملةً بزعمه.

أَلا فَاتَّقُوا اللهَ – أُمَّةَ الإِسلامِ – فَإِنَّهُ مَهمَا أُوتِيَ الإِنسَانُ مِن نِعَمِ الدُّنيَا، فَلَن يَنَالَ بها سَعَادَةً إِلاَّ إِذَا سَارَ فِيهَا عَلَى الوَجهِ الَّذِي لأَجلِهِ خُلِقَ، مُوقِنًا أَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَعَلَ الدُّنيَا عَارِيَّةً لَهُ لِيَتَنَاوَلَ مِنهَا قَدرَ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلى النِّعَمِ الدَّائِمَةِ وَالسَّعَادَةِ الحَقِيقِيَّةِ، وَلَن يَكُونَ ذَلِكَ إِلاَّ لِلمُؤمِنِينَ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُم فِي الأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالمعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المنكَرِ وَللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

وَأَمَّا المُنغَمِسُونَ فِي الدُّنيَا مِنَ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ، ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بها فِي الحَياةِ الدُّنيا وَتَزهَقَ أَنفُسُهُم وَهُم كافِرُونَ﴾.